هذه في حالة عبد الحيد البيكولوجية الفزيولوجية مع امته مستنتجة من افعاله مدة حكمه الطويل فما بالك بالامة التي كان هذا سلطانها المطلق مدة ثلاث وثلاثين سنة والتي لا يزال كثيرون منها اليوم يبكون حسرةً عليه! — واما ماذا يكون من امرهِ بعد اسرهِ فقد تغير اطوارهُ من الضد الى الضد ويذوق راحة من هواجسهِ لم يعرفها من قبل. اذ ليس علاج ينجع في مثل هذه الوساوس من الانتقال بصاحبها من مركز الى ضدهِ وان لم يكن بالعلاج الشافي دائمًا. اما مسؤليتهُ الحقيقية من وراء كل ذلك فمختلف فيها وفي نظرنا انهُ اذا كانت المسؤولية الادبية تجد مخففًا لها عنهُ من حالتهِ هذه فالرزايا المادية التي حلقت بالامة من جرائها تبعتها في مثل هذا المرقف تلتصق بالامة وحدها لان المال السائب يعلم الناس الحرام. وقد تحملت الامة عاقبة جهلها. واما المسؤلية الحقيقية فعلى الدول الراقية المسؤلة وحدها لدى الانسانية المخفامنة

الدكتور
شبلي شميل

نيتشه وابن الانسان[1]

اصدرت الجمعية اليوجنية (Eugenics' Society) مجلة شهرية الغرض منها نشر ما يعرف عن العلوم اليوجنية بين الشعب وحمل الحكومة على جعل قوانينها منطبقة على مبادىء هذا العلم الجديد

اليوجنية علم وضع اسمهُ المستر فرنسيس غلتون رئيس الجمعية اصولهُ مأخوذة من قوانين علم الحياة وغرضهُ منع العوامل التي تؤول الى اضعاف النسل كمنع زواج اصحاب العاهات الوراثية — وتقوية العوامل التي تؤول الى تحسين النسل كتشجيع الزواج بين اصحاء الاجسام والعقول. وهذا كلهُ مبني على قانون دارون: بقاء الاصلح والانتخاب الصناعي. ووقوف نجاح الجمعية طبعًا على ميل الامة الى تحسين نسلها وما يشاهد من رواج بيع مجلتها الجديدة يدل على قوة هذا الميل

وليس غرضي شرح الطرق التي ستتخذها الجمعية للوصول الى غايتها من تحسين النسل وانما ذكرت خبر هذه النهضة مشاهدًا على اهتمام الامة الانكليزية بنسلها وتنبيهًا للقارىء الشرقي الى مستقبل بلادهِ. وغرضي من هذه المقالة شرح فلسفة جديدة لاحد فلاسفة

[1] Nietzche's "Thus spake Zarathustra," and Ludovici's "Who is to be master of the World," and "Man and Superman" by G.B. Shaw.

الالمان فردريك نيتشه اضعها اولاً في سؤالين ثم اشرحها

الاول : اذا صح ان الانسان قد تناسل من حيوانات ادنى منهُ افلا يصح ان يتناسل منهُ حيوان ارقى منهُ

والثاني : ما هو الطريق المؤدي الى جعل نسلنا يفوقنا جسماً وعقلاً كما نفوق نحن الحيوانات التي تسلسلنا منها

١ تأثير داروين في اعتبار الانسان

كان لظهور كتاب داروين في سنة ١٨٥٧ رجّة عظيمة بين العلماء اذ غيّر مجرى الافكار في اعتبار الاحياء وبيّن اجمالاً اشتراك الحيوانات في اصل واحد كما اوضحهُ بعدهُ كتب العلماء الذين تبعوهُ . ولكن داروين لم يذكر في كتابهِ هذا ادلة على اصل الانسان الحيواني بل ترك ذلك الى ان جمع الادلة الكافية في كتاب "اصل الانسان" حيث اوضح تسلسل الانسان من الحيوان . ونظرية النشء التي قال بها داروين وبنى عليها كل استنتاجاتهِ اصبحت اليوم من الامور المسلمة — حتى ان الكنيسة الانجليزية وافقت عليها في مؤتمرها العام الماضي في لندن

فنحن نفهم الآن بنظرية النشء ناموساً طبيعياً جرى عليهِ جسم الانسان فوصل الى ما هو عليهِ الآن وقد جرت عليهِ كل الحيوانات فاحيا منها ما احيا وابادَ ما اباد وأهم قوانين النشء هو "بقاء الاصلح" فالانسان بقي والبقاثير يه انقرضت لان الانسان كان صالحاً للوسط الذي عاش فيهِ وأما البقاثيريه فلم تصلح لهُ . ولكن كيف وصل الانسان من الحيوانية الى الانسانية ؟

وصل الى ذلك بالانتخاب الجنسي . فالانثى تنتخب القوي الجميل من الذكور على ما ترشدها طبيعتها والقوي يمنع الضعيف من التناسل بحيازتهِ المرأة الجميلة

فالمرأة بصفتها واسطة لتكثير الجنس وبصفتها حائزة للقوي من الرجال ولدت القوي من الجنس وأبادت الضعيف منهُ

ولكن لماذا لا يتغير الانسان اليوم ؟ لماذا نرى الشبه شديداً بين موميات المصريين القدماء وبين أنماط العصر الحاضر ؟

فالجواب اننا وقفنا ضد الطبيعة . وأذا ظللنا نقف أمامها فلربما سنكون كسلافنا بلا فرق ولا تغيير . فنيتشه الفيلسوف الالماني قضى عمرهُ يوضح أغلاط الانسان في وقوفهِ أمام الطبيعة ويبيّن الطريق المؤدي الى العودة الى الطبيعة حيث تجري حسب نواميسها

٢ كيف الوصول الى ذلك

آداب الامة أو القبيلة وأخلاقها موضوعة لغرض ما فمن بطل الغرض بطل الداعي للاداب والاخلاق. ولكن اذا تقادم العهد على قوانين هذه الآداب الاجتماعية يغفل النظر عن الغرض منها وأصبر تتبع اتباعاً اعمى . وبعض هذه القوانين طبيعي لا يمكن ابطالهُ وبعضها اجتماعي يمكن ابطالهُ متى بطلت فائدتهُ . فمن الطبيعي مثلاً التزاوج ومن الاجتماعي الزواج . ومن الطبيعي حب القوة ومن الاجتماعي الشفقة على الغريب أو الضعيف

فاذا نظرنا الى فضيلة الشفقة على صاحب العاهة كالأبله او المقعد او المولود اعمى . هل نحن محقون في شفقتنا عليهم بعد ان عرفنا قانون الوراثة ؟ هل من الفضيلة ان نقدم لصاحب العاهة وسيلة يكثر بها نسلهُ ؟ نعم انهُ من الفضيلة والانسانية ان نقدم لهُ مسائل الراحة ولكن من الجرم ان نسمح لهُ بالزواج وتكثير اصحاب العاهات الوراثية

وقد بيّن نيتشه ان اصل الآداب حب القوة . وان في الامة دائماً نوعين من الآداب وهما في عراك دائم . الاول " آداب السيد " التي يرغب القوي في ان تعم لانها تزيدهُ قوة والثاني " آداب العبد " التي يرغب الضعيف في ان تعم لانها تزيدهُ قوة . وضرب لذلك مثلاً العصفور والصقر فمن مصلحة الصقر ان يأكل العصفور ومن مصلحة العصفور ان يموت الصقر جوعاً ثم استنتج من ذلك ان الآداب العصرية المتبعة في آداب الضعيف التي تمنع القوي من الظهور ومن تكثير نسلهِ كالزواج بواحدة والشفقة على الضعيف ولذلك قادم الديانة المسيحية لانها زعيمة هذه الآداب . وقال ان واضع هذه الآداب هو الضعيف فهي تؤول الى تخليد جنسهِ والغاء الجنس القوي فاذا استمرت سائدة ضعف الجنس البشري وربما انقرض فاذا اردنا تحسينهُ وجب علينا ان نقلب ميزان هذه الآداب اي يجب ان نجعلها تؤول الى تخليد الجنس القوي وأبادة الجنس الضعيف

ولا يتصور القارئ ان نيتشه يطلب منا ان لا يحب الضعيف ولا يحسن اليهِ وانما يطلب ان لا نكثر جنسهُ والفرق كبير بين الامرين

٣ ابن الانسان

من اقوال برنارد شو الفيلسوف الانجليزي الذي تبع نيتشه في فلسفتهِ عن " ابن الانسان " Ecce Homo انهُ يسوءنا ان نرى الابناء مثل الآباء في قوة عقولهم فان هذا دليل على عدم وجود التقدم

لما هدم الانسان اديانهُ القديمة بمباحثهِ المنطقية والعلمية ورأى ان النعيم الذي صورهُ

لهُ الانبياء خيال وضاع املهُ من آخرة يحاسب فيها ويكافأ استقط في يدهِ ويئس من الحياة حتى قال شوبنهور اننا لو عقلنا لانتحرنا

ولكن جاءنا بعد شوبنهور نيتشه وفجأنا من هذه اليأس . قال صحيح اننا نموت ولنحمل اجسامنا ولكن امامنا مجد عظيم . انظر كيف اخرجت الطبيعة من شبه القرد القبيح ذلك الانسان الجميل . فمجدنا اذن يجب ان يكون في اخراج ملاك من الانسان ولذلك يجب ان تكون قبلتنا ابن الانسان . فالانسان ليس تاج الشيء ويجب ان نفسح للطبيعة حتى تطبق نواميسها علينا . فانهُ من العار على الانسان ان يحسن نوع خرافهِ وطيورهِ ولا يحسن نوعهُ . واذا لم تكن الآداب واسطة لسعادة الشعب وجب تبديلها لانها جعلت آلة للوصول الى السعادة

فالانسان ورث من اصلهِ الحيواني كثيرًا من الصفات والاعضاء الذي لقف في سبيل سعادتهِ . فهو عرضة لالتهابات الزائدة التي ورثها من الحيوانات اسلافهِ ومكروبات السل والدفتيريا والطاعون والكوليرا وكثير غيرها تنغص عيشهُ . فهل يحسن بنا ان نترك لتربيتنا هذه الامراض من غير ان نعمل شيئًا لنجاتهم منها ؟ يظهر فينا من آن الى آن نابغة في الفكر فنبدهُ في حياتهِ ولكنهُ قد يموت بلا نسل امام اعيننا . اذا رأينا راعي الغنم ينتقي الكبش القوي لتكثير نسلهِ بين اطراف اعجبنا بفراستهِ واذا قام فينا رجل وطلب منا ان نعتني باولادنا كما نعتني باطراف مرآنا به وعددناهُ ناقصًا في آدابهِ كما عدَّ نيتشه . قال برنارد شو ما معناهُ :— اذا فرضنا ان قطيعًا من الغنم يحوي مئة نعجة ومائة كبش وان نصف هذه الكباش قوي والنصف الآخر ضعيف وان راعي هذا القطيع منع القوي من ان يستأثر بالنعاج وقسمها بين الاتقياء والضعاف على التساوي التناسل بالتساوي بين الجنسين الضعيف والقوي . فاذا تكون النتيجة بعد عشرين او ثلاثين جيلاً اضعاف القطيع او تقويتهُ ؟ فالقارئ يفهم اذن السر الظاهر في انتخاب اقوى الغنم للتناسل

ولكننا اذا علمنا ان قانون الانتخاب الذي يطبقهُ راعي الغنم في غنمهِ غير معمول بهِ في الانسان فهمنا مصير المجتمع الانساني . زد على هذا قانونًا طبيعيًا بيّنهُ سبنسر في اصول علم الحياة خلاصتهُ انهُ كلما علا الانسان في سلم الشيء قلت قوتهُ على اخلاف النسل ومعنى هذا ان العناصر العالية فينا اقل قدرة في تخليد جنسها من العناصر الواطئة ولعل هذا سبب قلة المواليد في الامم الراقية عنها في الامم المنحطة

لندن سلامه موسى